ماذا يمكننا فعله؟ هذه العبارة تجد نظيراً لها في ما يدعوه كانط بفكرة الخيال (حدوس بدون مفهوم)... واليوم، يُطلق على هذه اسم سيناريوهات أو تزييفات. إنها سرديات اللاّحقيقي، كما هو الحال في ألعاب الحرب: ماذا لو أنهم هاجموا خاصرتنا اليسارية؟ عندها فإننا سوف نحاصرهم بحشد سريع من خاصرتنا اليمينية. تُسردُ أشكالٌ متعددة من القصص المحتملة، الممكنة وغير الممكنة، بغضّ النظر عن احتمال صدقها، وذلك تأهباً لما يمكن أن تؤولَ إليه الحال.... المداولات السياسية، كما يُطلق عليها، تجري ضمن إطار هذه السيناريوهات، وبما أنّ حكومة كابول أو السلفادور طلبت المساعدة من موسكو أو واشنطن، فإنّ وجود القوات السوفيتية أو الأمريكية هو دليل على استقلال هذه الحكومات.... هذا نوع من الجدل العامّ، أو حملة تستهدف الرأي العامّ، دعاية: الآخر مخطئ، اذن أنا على صواب. هو أو هي لايستحقان ثقتك (هذا يستهدف مبادئ الخطيب المعارضة)؛ هو أو هي يقودناك بعيداً عن غاياتك الحقيقية (هذا يستهدف مشاعر المستمع)؛ أما القضية فلم تكن (بالتالي) متشابهة معي.[١٧]

وكما هو الحال غالباً مع بودريار، كذلك هو الأمر مع طرح ليوتار: ورغم كونه تعليق تشخيصي متين عن الكيفية التي تجري فيها الأمور حالياً في ظلّ ديموقراطيات "العالم الحرّ" في الغرب، فإنّ المقطع ينحرف بكليته عن المسار ـ وبإسلوب مابعد حداثي نموذجي ـ عندما يساوي بين هذه العملية وبين "المداولات السياسية، كما يُطلق عليها"، وبالتالي يبارك ضمنياً تلك "السيناريوهات"، و"التزييفات"، و"سرديات اللاّحقيقي " باعتبارها أقرب مايمكن أن نصل إليه في علاقتنا مع الواقع والحقيقة. إنّ انطولوجيات معكوسة كهذه ـ وضع البلاغة فوق العقل، الخيال فوق الحقيقة، أو المنطق الزائف للردع فوق مصالح الحوار العقلاني ـ هي، كما رأينا، العلامة المميزة لمابعد الحداثة في أكثر أشكالها التنظيرية حذاقةً. أما الأكثر سخريةً هو أن يسوق ليوتار هذا المقطع بعينه كحاشية لما يدعوه ـ محقّاً في ذلك ـ "العبارة